علاقات مصر ببلاد فينيقيا

(أثناء دولتي مصر القديمة والوسطى- 2780 / 1991 ق.م-)

Egypt's relations with Phoenicia

(During the ancient and middle Egyptian states - 2780 / 1991 BC -)

خير عامر*

أستاذ مساعد أ جامعة محمد بوضياف ameur.khier@uviv-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/10 تاريخ القبول: 2024/04/01 تاريخ النشر: 2024/06/27

ملخص:

إن فكرة نشوء العلاقات بين مصر وبلاد فينيقيا قديما كانت محل اختلاف بين المؤرخين في تحديد زمن بدايتها، فاعتقد بعضهم أنها تعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، بينما أرجعها البعض الآخر إلى زمن السيطرة المصرية المباشرة على بلاد فينيقيا، لذا كان الهدف من بحثنا هو إبراز ما توصلت إليه الدراسات الحديثة لتحديد مسار التقارب بين الطرفين من جهة، والإشارة إلى الشواهد الأثرية التي تم رصدها في كلا القطرين لتوضيح دوافع تلك العلاقات من جهة أخرى ، ولإيضاح ذلك نطرح التساؤل التالي: ما دوافع تواصل المصريين بالفينيقيين قديما ، وما العوامل المساعدة على ذلك ، وكيف كانت طبيعة العلاقات بين الطرفين خلال مراحل الحكم الفرعوني ؟

لقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الجذور التاريخية للعلاقات المصرية الفينيقيةكانت في فترات سحيقة سبقت عصر الأسرات بمصر، وأن اهتمام المصريين بأرض فينيقيا كان لمصالح اقتصادية وأمنية بحتة، وقد ساهمت منافذ الاتصال بين مصر وفينيقيا (عبر سيناء وعن طريق ساحل البحر الأبيض المتوسط) في تعزيز الصلات التجارية التي كانت من الظواهر العامة للفينيقيين مع مناطق الجوار الجغرافي، خصوصا مع مصر خلال الألفين الثالثة والثانية قبل الميلاد، وقد نشطت التجارة واتسعت بين الطرفين لتشمل المجال السياسي والجوانب الحضارية الأخرى .

الكلمات المفتاحية: (مصر ، بلاد فينيقيا ، العلاقات السياسية ، العصر القديم ، النشاط التجاري)

* المؤلف المرسل: خير عامر الاسم الكامل، الإيميل: ameur.khier@uviv-msila.dz

Abstract:

The idea of the emergence between Egypt and the country of Phoenicia in the past was the subject of disagreement between historians in determining the time of its beginning. Some of them believed that it dated back to the third millennium BC, while others attributed it to the time of direct Egyptian control over the country of Phoenicia. So the aim of our research is to highlight the findings of recent studies to determine the path of rapprochement between the two parties, on one hand, and to refer to the archaeological evidences that were collected in both countries in order to clarify the motives of those relations, on the other hand. Then, we ask the following question: What were the motives of the Egyptians' communication with the Phoenicians in the past, and what were the contributing factors to that ? And how was the nature of relations between the two parties during the stages of Pharaonic rule ?

Recent studies have proven that the historical roots of the Egyptian-Phoenician relations were situated in the distant periods that preceded the dynastic era in Egypt, and that the interest of the Egyptians in the land of Phoenicia was purely economic and for security interests. More, the ports of communication between Egypt and Phoenicia (through the Sinai and through the Mediterranean coast) contributed to strengthening commercial ties which were among the general phenomena of the Phoenicians with the geographical neighboring areas, especially with Egypt during the third and second millennium BC. And, trade has been active and expanded between the two parties to include the political field and other civilization aspects.

Keywords: (Egypt, Phoenicia, political relations, the ancient era, commercial activity .)

Le résumé:

L'idée de l'émergence des relations politiques et civilistionnlles entre l'Égypte pharaonique et la Phénicie a suscité des divergences parmi les historiens quant à la période de leur commencement Certains estiment que les relations entre les deux régions remontent au 3e millénaire avant J.C, tandis que d'autres les situent à l'époque de la domination égyptienne directe sur la Phénicie Cependant, des études récentes ont prouvé les liens d l'Égypte avec les cités phéniciennes à des périodes remontant à l'époque des dynasties égyptiennes, sur la base de preuves archéologiques retrouvées dans les différentes couches de terre des deux

parties, L'intérêt des Egyptiens pour la Phénicie remonte avant même l'unification des parties de l'Egypte aux alentours de 3200 avant J.C, en raison de l'importance extrême de la Phénicie pour l'Égypte sur les plans commercial et sécuritaire.

Selon les preuves recueillies dans notre recherche, il est clair que les racines historiques des relations phéniciennes-égyptiennes remontent aux civilisations de "Maadi" et "Nakada I°" en Égypte, c'est-à-dire aux 5e et 4e millénaires avant J.C. Les Égyptiens ont commencé ces relations en raison de leur besoin en matières premières telles que le bois de cèdre et certains minéraux, et les facteurs naturels tels que les voies de communication à travers le Sinaï et le littoral de la mer Méditerranée les ont aidés dans ce commerce.

Les relations commerciales entre les deux parties étaient une caractéristique générale des Phéniciens avec les régions voisines, en particulier pendant le 3e millénaire avant notre ère, et elles se sont intensifiées et élargies avec l'Égypte au 2e millénaire avant notre ère pour inclure le domaine politique et d'autres aspects civilisationnels.

Mots-clés : (Égypte, Phénicie, relations politiques, époque antique, activité commerciale, les familles régnantes en Égypte, l'histoire de Sinuhi).

مقدمة:

كان لموقع مصر الجغرافي خلال العصر القديم بالغ الأثر في تيسير الاتصال بين قدماء المصريين وشعوب الحضارات خلال فترات زمنية سبقت توحيد بلاد النيل ، حيث أسهمت طبيعة الأراضي الصحراوية المفتوحة بين شمالي شرق مصر وجنوبي غرب آسيا في تدفق المهاجرين والتجار والغزاة أيضاً عبر الأراضي الفينيقية إلى مصر منذ القدم ، غير أن مشاق الانتقال برّا وما يتعرض إليه المسافر من أخطار النهب جعل المصريون منذ أقدم عصورهم يتخذون طريق البحر للوصول إلى شواطئ المدن الفينيقية ، ومهما يكن فإن صحراء سيناء لم تكن في كل العصور عائقا يمنع الانتقال خصوصا بين المصريين وجيرانهم في فينيقيا .

وكانت المدن الفينيقية على جانب كبير من الأهمية لملوك مصر ،حيث سعى أولئك الملوك منذ أزمان موغلة في القدم للوصول إلى غابة الأرز واستغلال موارد فينيقيا قبل قيام الإمبراطورية المصرية وبعده وحتى قبل قيام المدن الفينيقية ، لكن لا يمكن التكهن في رسم خط الحدود الزمنية لبداية العلاقات بين سكان وادي النيل وبين الفينيقيين.

كيف كانت العلاقات السياسية بين ملوك دولة مصر القديمة وحكام المدن الفينيقية ، وماهي أهم دوافعها ؟

ماهي أهم الظروف التي تحكمت في طبيعة وتوجيه العلاقات المصرية الفينيقية ، وماهي انعكاساتها على سكان البلدين؟

تهدف هذه الدراسة لتبيان الدوافع التي أدت إلى وجود علاقات بين الجانبين المصري والفينيقي، بالإضافة إلى عرض ما توصلت إليه الأبحاث من خلال المكتشفات الأثرية التي ترمز لمجال العلاقة بين الحضارتين.

كما استخدم الباحث المنهج التاريخي الوصفي الذي يقوم على استقراء المادة العلمية من المراجع المتنوعة للوصول إلى الحقيقة التاريخية حول العلاقات المصرية الفينيقية وفق ترتيب كرونولوجي يتيح للقارئ فهم طبيعة تلك العلاقات التي شابها بعض الغموض في فترات ما.

1- علاقة دولة مصر القديمة ببلاد فينيقيا (2780 – 2280 ق.م):

كانت العلاقات بين دولة مصر والمدن الفينيقية خلال الألف الثالثة قبل الميلاد علاقة سلمية مبنية على المنافع الاقتصادية لكلا الطرفين(سليم أحمد أمين ،1989، ص 39)، وتعززت تلك الصلات بين القطرين في أكثر من اتجاه ، فعلى الصعيد التجاري ارتبط ملوك الأسر الحاكمة المصريين مع عدة مدن منها جبيل من اجل التحصل على الخشب ؛ خاصة خشب الأرز، الذي يعنبر من الأشياء الهامة و من ركائز حضارة المصريين في ذلك الوقت، كبناء المعبد و القصر و صناعة الأثاث و التوابيت الموتى و هندسة بناء السفن وفي مقابر الملوك في "أبيدوس" (سليم أحمد أمين ،1989، ص 39) التي عثر فيها على كتل ضخمة من الألواح والأخشاب من نوع الصنوبر والأرز الذي ينمو في لبنان بالإضافة إلى جرار وأوعية ماء تشبه في شكلها ثمرة اليقطين، وجرار أخرى ذات عروة وفوهتها تشبه منقار،(L. Casson , 1967, p , 15)، كما عثر بتلك المقابر على أواني ذات مقابض مموجة وهي تقنية مستوحاة من أشكال مستوردة من جنوب فينيقيا وآنية خزفية وسلع كنعانية أخرى(محمد بيومي مهران ، 1994 ، ص201).

إن اعتى مثال لخشب الأرز الذي يجلب من لبنان خال فترة دولة المصريين القديمة و الذي وجد في منطقة سقارة على شكل هرم مدرج و الذي قام بتشييده الفرعون زوسر (2780-2751 ق.م) الذي أسس الأسرة المصرية الثالثة (حتي فيليب ، 1965 .ص38).

واعتمادا على ما جاء في حجر "بالرمو" فإن الملك "سنفرو"(2680 – 2560 ق.م) مؤسس الأسرة الرابعة أرسل أسطولا بحريا ضم أربعين سفينة لإحضار أخشاب الأرز من ميناء مدينة "جبيل" و لعل أثار تلك الأخشاب ما يزال موجودا حتى وقتنا الحالي في منطقة هرمة بدهشور و هو في حالة ممتازة (إبراهيم زرقانة وآخرون ، ، د.ت، ص 136)، و قد جعل هذا الفرعون جزءاً من هذه الأخشاب و أخشاب أخرى من السرو المجلوبة من لبنان لبناء الكثير من السفن التي شكلت الاسطول البحري له، منها ماهو موجه للملاحة في البحر ، و ما تزال صور هذه السفن جاثمة على جدران معبد أثنين من ملوك الأسرة المصرية الخامسة (2560–2420 ق.م) وهما سحورع (2553-2539 ق.م) وأوناس (2448-2420 ق.م) (حسن سليم ، 1940 ، ص 226).

أكدت النقوش أن في عهد "خوفو" أصبح ميناء "جبيل" أكبر ميناء تجاري بين مصر وبلاد فينيقيا ، بل كان المحور الوسيط بين تجارة مصر وكريت(محمد بيومي مهران ، ص ص 202-204).

لا يمكن اعتبار مادة الخشب هي الفريدة التي جلبها المصريون من جبيل، إذ وجدنا ما يثبت على جلبهم منها معدن النحاس والقصدير والبرونز الطبيعي(محمد السيد غلاب ،1969. ، ص 236)،بالإضافة بعض المواد الأساسية والتي كانت محل طلب لدى المصريين كالصمغ والزيوت اللازمة لأعمال التحنيط والخمور ذات الجودة العالية(جورج كونتينو ، 1997 ، ص 30)، فيما جلبت جبيل و بقية المناطق الفينيقية من مصر المصنوعات المعدنية و الذهب و ورق البردي المهم لديهم للكتابة (حتي فيليب ، 1965، ص137).

و قد واكب هذه الحركية التجارية الكثيفة توطن جالية مصرية في ميناء منطقة منذ عهد الأسرة المصرية الرابعة ، التي كانت تهدف إلى التنسيق و المراقبة و التبادل التجاري بين مصر ومدن الشاطئ الفينيقي ، و تجهيز السلع المطلوبة التي كان يئتى بها من اسافل جبال لبنان التي كانت تابعة لمنطقة جبيل و تحمل على ظهر السفن إلى مصر (حسن سليم ، مصر، ج2 ،1940، ص250).

و لعل أن أبناء الجالية المصريين قد كانوا يتمتعون بقدر كبير من الحريات مما سهل لهم عبادتهم الدينية و مارسوا الطقوس و الشعائر الدينية، مع تمسكهم بالطاعة التامة لمولك الفراعنة، و ما يؤكد هذا الكلام ان مجموعة من التجار أنشأوا معبدا في مدينة جبيل ، وجد مكتوبا على بعض حجارته التي اكتشفت ألقاب و أسماء عدد لا بأس به من امراء و ملوك مصر القديمة (أحمد فخري ، 1958 ، ص89) ، لعل أشهرهم اسم الفرعون خوفو الذي يعتبر أهم ملوك الأسر المصرية خاصة الأسرة الرابعة و الذي يشير إليه الباحثين انه هو من قد بنا هذا المعبد (سليم أحمد أمين ، 1989، ص12).

ولم يكن ملوك الأسرة الخامسة أقل ارتباط بالفينيقيين من أسلافهم ، ففي معبد الملك "ساحورع" في أبو صير منظرين يمثلان رحيل وعودة الأسطول المصري من جبيل، وأن من بين الأشخاص الرئيسيين على ظهر الأسطول يوجد أميرة سورية ربما أرسلت لكي تصبح زوجة "ساحورع"(رمضان عبده علي ، 2002 ، ص 145).

كما وجد في منطقة جبيل بعض الوسائل ، التي كان مكتوبا عليها اسم سادس ملوك الأسرة الخامسة أسيبسى (2476-2448 ق.م) (بوترو جين ، وأخرون ، 1985 ، ص ص 308-309)، ويظهر أن كتاب منطقة جبيل كانوا مطلعين على كل أسرار الكتابة الهيروغليفية المصرية(تشايلد جوردون ، 1942، ص139)، حيث وجد أنهم تفننوا في كتابة كتبن بحرف هيروغليفي تشابه الحرف المصرية في أقدم صوره(محمد السيد غلاب ، والجوهري يسري، 1968 ، ص 482)، وهذا ما يدل على تمتين العلاقات المصرية الفينيقية في عهد حكم الأسرة الخامسة، كما أوردت المضان أنه في أحد رحلات تجارية أقيمت مع هذه المدينة قد جرت في عهد الملك "أونيس"(محمد بيومي مهران ، 1994، ص 205).

كما ارتبطت أسماء ملوك الأسرة السادسة برحلات تجارية إلى بلاد فينيقيا وإلى اتجاهات أخرى، حيث سجلت لنا جدران مقبرة "بيبي الأول" (2402-2377 ق.م) بسقارة وصف لأحداث بعثته التي كان قائدها

"أوني" لجلب كميات الأخشاب من جبيل(محمد السيد غلاب ، 1969، ص 237) ، وقد عمل ملوك الأسرة السادسة على توطيد علاقة مصر بجيرانها، ويتضح ذلك من خلال نقش الملاح المصري " خنوم حبت" الذي يقول فيه:«**خرجت مع سيدي الأمير الوراثي حامل ختم المعبود ثني (و أيضا) خوي إلى كبن (جبيل) وبونت إحدى عشر مرة، حاملا بسلام ما أنتجته (هذه) البلاد الأجنبية**» رمضان عبده علي ، 2002، ص 145)، وإشارته إلى "ثني" و"خوي" أن زيارته الأولى كانت تحت رئاسة "ثني"، وزيارته الثانية كانت تحت رئاسة "خوي" محمد بيومي مهران ، 1994، ص 206).

ولم تنحصر علاقة مصر مع المناطق التابعة لفينيقيا على التجارة فقط بل تجاوزتها إلى عدة جوانب و ميادين أخرى، حيث لوحظ أن كبار المصريين القدامى يعبدون معبودات منطقة جبيل و ربطوها ربطا مع معبودتهم حاتحور(رشيد الناضوري ، 1977، ص ص326 – 327).

كما عثر جدر بناية معبد الملك ساحورع ما يدل على نشاط الأسطول البحري الخاص به لجلب مختلف الزيون منها زيت الزيتون بآنية كنعانية إلى المدن الفينيقية، ضف إلى ذلك بروز بعض الحيوانات في هذا النشاط مثل الدب الذي أتى به ووضعه في حديقة له (حسن سليم ،ج2 ، 1940 ، ص ص251 – 252). وفي المقابل عثر في منطقة جبيل على بعض الآنية "بيبي الأول" و "بيبي الثاني" من الأسرة السادسة (رشيد الناضوري ، 1977، ص ص326 – 327).

وكانت تتم المبادلات التجارية بين البلدين عبر طريق البحر الذي سعت مصر أن يظل مفتوحا، وأن ميناء "جبيل" يبقى مستودعا لمنتجات البلاد الفينيقية ومنتجات الشعوب المجاورة المرغوب الحصول عليها من طرف المصريين، لذلك كانت تقيم جالية مصرية من التجار في هذا الميناء(عبد الحميد زايد ، د.ت ، ص ص 113-114)، و لعل هذا الأمر لا يبعد قولنا أن طريق الصحراء كان نشيطا و و قد شهد حركية تجارية لا مثيل لها بين الطرفين، فمختلف قوافل التجارة بين المنطقتين كانت تمر عبر طرق برية واصلة بين القنطرة وشرقي بحيرة المنزلة، و تمر شبه جزيرة سيناء لتوصل السلع إلى منطقة فلسطين و سواحل مدن منها يافا وعسقلان وغزة ،و كانت هذه القوافل تعرض مختلف سلعها و تبيعها خاصة المحاصيل الزراعية المصرية لكي تشتري زيت الزيتون و مختلف أنواع النبيذ (حسن سليم ،ج2، 1940 ، ص ص251 – 252).

وما يثبت استمرار التواصل بين دولة مصر القديمة والمدن الفينيقية هو وجود أواني فخارية كبيرة ذات عنق دقيق وفوهة مسطحة بمصر، يبدو أن مصدرها من شمال بلاد فينيقيا أثناء عهد الملك "ساحورع(عبد الغني غالي فارس السعدون، 2005، ص 44)، كما ظهر الفخار المصري القديم في أجزاء عدة من المدن الفينيقية، حيث وجد حفريتين على شكل لكن الأمر كان غير ذلك في أخريات الأسرة السادسة ، حيث حرق المعبد المصري في "جبيل"(عبد الحميد زايد، د.ت ، ص114).

ويرى بعض الباحثين أن اضطراب الأمن في مصر بسبب قيام الثورة الاجتماعية من جهة، وعدم وجود أشياء تحمل أسماء ملكية في "جبيل" فيما بين الدولة القديمة والوسطى من جهة أخرى كان له أثرا سلبيا

في استمرار المتاجرة بين البلدين، إذ يقول حكيم الثورة الاجتماعية بمصر:« **لم يعد أحد اليوم يسافر شمالا إلى جبيل فما الذي سنفعله عوضا عن الأرز اللازم ليومياتنا ، فقد كان النبلاء يحنطون بالزيت الآتي من هناك، وما هو أبعد منها(أي جبيل) حتى "كفيتو"(كريت) ولكن هذا لم يعد يأتي**»(محمد بيومي مهران ، المرجع السابق، ص 208) .

وهذا لا يعني أن التجارة قد توقفت ب"جبيل" بدليل أنه وجد في ميناء المدينة على العديد من الأشياء المصرية التي تؤول في معظمها إلى العصر المتوسط الأول، والمرجح أنها مؤرخة بعصر الأسرة الثالثة عشر(عبد الحميد زايد ، د.ت ، ص ص 114- 115).

كما أن وتيرة الصراع المصري مع قبائل البدو على طول الحدود الشمالية الشرقية لمصر التي كانت في صعود دائم، و كان هؤلاء البدو لا ينقطعون في محاربة و قطع الطريق امام مختلف القوافل التجارية المصرية الموجهة لبلادهم، و هذا من أجل نهب و سرقة مختلف السلع و البضائع الموجودة بها (حسن ، سليم ، مصر، ج1،1940، ص391) ، و قد استغلوا طبيعة السطع للأراضي المفتوحة بين المنطقتين للولوج إلى أراضي منطقة الدلتا من اجل التوطين بها (عبد الغني غالي فارس السعدون، 2005 ، ص44) .

لذلك أولى الملوك المصريين أهمية كبيرة من أجل أي محاولات السيطرة على حواف حدود مصر خاصة المحاذية لصحراء سيناء، و راحت تفرض حراسة بشكل دائم عليها و ذلك بإقامة قلاع و حصون على كل تلك الحدود و بعث حملات عسكرية للهجوم على كل التجمعات و مناطق التوطين لهؤلاء البدو فيها(عبد الغني غالي فارس السعدون، المرجع السابق،45)، وهناك إشارة تضمنتها أحد النقوش المصرية القديمة عن قيام الفرعون " بيبي الأول" بإرسال خمس حملات متتابعة إلى جنوبي فلسطين ، وأشار نقش أخر لحملة سادسة على المنطقة ذاتها في عهد الفرعون "بيبي الثاني"(حسن سليم ، مصر، ج1 ، 1940، ص ص373- 374)، وتعد هذه الحملات أقدم ذكر للعمليات العسكرية التي خاضتها مصر في بلاد فينيقيا (عبد الغني غالي فارس السعدون، 2005 ، ص45).

ومن الأمور التي تلفت النظر أن الملك "بيبي الثاني" قد تقاعس عن القيام بنفسه للذود عن مصر وترك مهمة القيام بذلك الواجب لوزيره "وني"، وإذا تتبعنا مسار السياسة الخارجية لمصر في نهاية الدولة القديمة، وربطنا ذلك بالفوضى التي عمت البلاد حتى قيام المملكة الوسطى ، لأدركنا تمام الإدراك مدى جدية الأخطار التي كانت تشكلها بعض الشرائح الاجتماعية في بلاد فينيقيا على مصر ومصالحها التجارية ، وربما يعود ذلك الانهيار بالدرجة الأولى إلى استكانة ملوك الفترة المتأخرة للمتعة وإسرافهم في العطايا لكبار الكهنة ورجال الدولة ، مما أدى إلى طغيان نفوذ حكام الأقاليم فضعفت السلطة المركزية ، وتراخت سيطرة ملوك منف على البلاد التي عمها الانحلال(أحمد رشاد موسى، 1998، ص ص108- 109)، مما مهد السبيل لقبائل البدو المتواجدين على طول الحدود المصرية مع بلاد فينيقيا وسهل عبورهم إلى الدلتا ، وشرعوا في بسط نفوذهم التدريجي على أرجائها، وبتولي الأسرتين التاسعة والعاشرة أصبحت أجزاء مهمة من الدلتا خاضعة لنفوذ أولئك البدو خضوعا تاما(محمد أبو المحاسن عصفور، 1962 ، ص85).

وقد برزت آثار الظروف السيئة التي عاشها المصريون أثناء حكم الأسرتين السابعة والثامنة على السياسة الداخلية بكثرة الحرب بين حكام الأقاليم، وتدهور الحالة الاقتصادية إلى حد حدوث الكثير من المجاعات(أحمد رشاد موسى، 1998، ص 120)، وعلى الصعيد الخارجي تراجع التجارة المصرية مع مدن بلاد الساحل الفينيقي، وبالأخص مع مدينة جبيل (حسن سليم ،ج2، 1940 ، ص ص250-251) ، التي لم ترجع علاقتها مع مصر إلا بعد أن استتبت الأمور خاصة على الأسرة المصرية التاسعة (2242-2133 ق.م) ، حيث أبحر العديد من السفن إلى ميناء منطقة جبيل (محمد أنور شكري، 1965، ص197) و قد وجد بها مسلة تؤرخ بحوالي القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد كتب عليها فقرة تشير إلى أن هذه المسلة تعود لحاكم جبيل الأموري (أبي سمو) محبوب الإله المصري حرشف(رشيد الناضوري، 1977، ص328).

2- علاقة دولة مصر الوسطى ببلاد فينيقيا (2052-1991 ق.م):

بدأت مصر تتعافى من محنتها التي تعرضت لها أثناء فترة الانتقال الأول(2280-2052 ق.م) ، حيث شهدت انتعاشا اقتصاديا وعمرانيا، وتميزت هذه المرحلة بتطور علاقاتها السياسية والتجارية مع شعوب الحضارات المجاورة عامة، وبشكل خاص مع بلاد فينيقيا، وقد شهدت مصر وقتها تعاظما للهجرات السامية الأمر الذي زاد تخوف المصريين من أخطار هؤلاء النازحين إلى حدودها الشمالية الشرقية، فقام الملك "منتوحتب الثاني" بتشييد وتحصين الكثير من المواقع جنوبي بلاد فينيقيا(مسلم رشد الرواحنة، هايل مضفي البري، 2020، ص ص510-511)، وعلى الأرجح فإن الملك "خيتي الرابع" مؤسس الأسرة العاشرة نجح في تقليص نفوذ البدو في الدلتا كما دعم توطين المصريين شرقي الدلتا بغرض فلاحة الأرض وحماية الحدود المصرية من الأخطار الخارجية أحمد فخري ، 1958، ص ص 94-95).

وقام ملوك الأسرة الحادية عشرة (2052-1991 ق.م) بإعلان الحرب على أمراء أهناسيا والقضاء على سلطتهم وبذلك أعادوا مصر إلى وحدتها(أحمد رشاد موسى، 1998، ص 122) ، كما عملوا على تطهير أرض الدلتا من بقايا نفوذ أولئك البدو الذين كانوا يعلنون العصيان بين الحين والآخر ويعترضون سبيل قوافل التجارة المصرية المتوجهة للبلاد الفينيقية(حسن سليم ،ج2، 1940 ، ص250).

ومع مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ظهر الحوريون في بلاد فينيقيا وبدأ سعيهم الحثيث للاستيلاء على الأجزاء الشمالية منها، وشكل تهديدا للدويلات الأمورية من جهة وللمصالح المصرية هناك من من جانب أخر ، مما أسهم في توطيد العلاقات السياسية بين مصر وبلاد فينيقيا (جورج رو ، 1984، ص322)، وعلى صعيد أخر متصل بالعلاقة بين الطرفين استمر البدو المتواجدين في صحراء فلسطين الجنوبية بتهديد مدن الدلتا الخصبة وأغاروا عليها عدة مرات(دريوتون آتيين، فانديبه جاك،1947 ،ص 283)، حيث قام مؤسس الأسرة الثانية عشرة المصرية "امنمحات الأول"(1991-1961 ق.م) بتجهيز حملة أو عدة حملات على معاقل هؤلاء البدو ومراكز تجمعاتهم الرئيسية(حسن سليم ، مصر ج1، 1940،ص 198).

ومن ثمّ عمدت الأسرة الثانية عشرة (1991-1778 ق.م) في مصر على تغليب علاقات الود مع مدن الساحل الفينيقي واتخذت الصلات التجارية سبيلا إلى التأثير الحضاري فيها ، إلى جانب ما يعرف بالسلام

المسلح زمن الفرعون "أمنمحات الأول" الذي شيد تحصينات دفاعية مع جنوبي فينيقيا عرفت ب" أسوار الوالي" لوقف هجرات الآسيويين غير الشرعية إلى مصر(مسلم رشد الرواحنة، هايل مضفي البري ، 2020 ، ص511)، وهذا يذكرنا بالسور الذي بناه الملك "شو سين" (2048- 2040 ق.م) من سلالة آور الثالثة التي حكمت في نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد، وذلك لمواجهة الخطر الأموري المتزايد على حدود بلاد الرافدين الغربية، مما يدل على الأرجح أن العدو المشترك لكلا البلدين كان واحدا في تلك الحقبة والمتثل في البدو الرحل ، وأن الأسلوب الأمثل لإبعاده وفق تصورهما هو بناء الأسوار والحصون وما شابه ذلك من مستلزمات الدفاع الأخرى(عبد الغني غالي فارس السعدون، 2005، ص51).

إن التغيرات الواضحة على سياسية مصر خلال هذه الفترة أدت إلى اتساع نشاط الدولة في استغلال موارد الصحراء الطبيعية في الداخل، وعززت العلاقات مع مدن الساحل الفينيقي لاسيما مدينتي جبيل وأوغاريت(صالح عبد العزيز، ، 2012 ، ص 270) ، إذ هناك ما يشير إلى أن مدينة أوغاريت عقدت حلفاً مع المصريين دلت علية الآثار المكتشفة وفي مقدمتها مسلة مقدمة إلى ملك أوغاريت ، يرجح أن من يقوم بتسليمها إليه المندوب المصري في بلاده(عبد الغني غالي فارس السعدون، 2005 ،ص 47).

ويبدو أن مدينة جبيل خضعت اسميا لسلطة فراعنة الأسرة المصرية الثانية عشرة الأقوياء، حيث شرع حكامها باتخاذ شعار لإمارتهم ذي طابع مصري وكتبوا أسماءهم بالخط الهيروغليفي المصري ، كما تلقبوا بلقب الأمير الوراثي المصري"حاتي عا"(محمد بيومي مهران ، 1979،ص ص 3-4)

وقد عثر في مقابر أمراء المدن الفينيقية على آثار مصرية وصلتهم على هيئة هدايا من "أمنمحات الثالث" وخلفه "أمنمحات الرابع"، حيث عثر لأمنمحات الثالث على تمثال على هيئة "أبي الهول" أقيم لدى مدخل معبد الإله بعل في أوغاريت(صالح عبد العزيز، 2012 ،ص 270)، كما أن أحد أمراء جبيل نقش اسم الفرعون المصري "أمنمحات الثالث" على سلاحه وقلائده(محمد أبو المحاسن عصفور، 1981 ، ص 32)، وعثر في قبر أمير آخر من أمراء جبيل على أدوات ومواد تحمل أسم الفرعون أمنمحات الرابع(بوترو جين ، وآخرون، 1985، ص 380).

وكان الحرص على استمرار العلاقات بين مصر والمدن الفينيقية حرصا مشتركا بين الطرفين ولم يعتمد على طرف واحد، فمصر سعت على بقاء شرايين اتصالاتها بجيرانها مفتوحة ومأمونة، في حين وجدت المدن الفينيقية في مصر خير عميل للتبادل التجاري الواسع معها(صالح عبد العزيز، 2012 ،ص 270).

بالإضافة عما تقدم ذكره عثر أيضا في أنحاء متفرقة من بلاد الساحل الفينيقي ، وخاصة في مدينة مجدو، وجبيل، وأوغاريت، وبيروت (عبد الغني غالي فارس السعدون، 2005 ،ص47)، على << **تماثيل وأوان وجعارين وأختام نقشت بأسماء أفراد مصريين ترددوا على البلاد وتعاملوا مع أهلها، وكان منهم رسل من البلاط الفرعوني وحكام الأقاليم و أفراد عاديون لعلهم من التجار عمل بعضهم لحسابه الخاص وعمل بعضهم الأخر لحساب ملكه** >> (صالح عبد العزيز، 1967 ، ص179).

وقد انتشرت اللغة المصرية في بعض المدن الفينيقية وصار اسم الفرعون المصري هناك مقرونا بالخوف(**جيمس هنري برستد ، 1929، ص121)**، نتيجة كثرة رسل الفرعون "سنوسرت الأول" الذين كانوا يجوبون تلك المدن خصوصا في المناطق الممتدة من جنوب فلسطين حتى مدينة جازر(**عبد الغني غالي فارس السعدون، 2005، ص47)**، وعمل الملك "أمنمحات الثاني" على تعزيز علاقاته بجيرانه ، ومنهم أمراء بلاد فينيقيا الذين تبادل معهم الهدايا(**محمد أبو المحاسن عصفور، 1962، ص43)**، حيث عثر في قطنه على تمثال يحمل أسم هذا الفرعون(**حسن سليم ، مصر، ج2، 1940 ، ص250)**، وآخر لأبنته (أتا) على هيئه أبي الهول ، وهو أقدم تمثال لامرأة مصرية بهذه الهيئة(**صالح عبد العزيز، 1967 ، ص179)** ، واكتشف في مدينة مجدو تمثال الكاهن الأعلى"تحوتي حتب" لمدينة هيراكليوبوليس، وهو يعود لعهد الفرعون سنوسرت الثالث (1879-1841 ق.م) كما تم العثور في بيروت على تمثال صغير لأبي الهول يمثل أمنمحات الثالث، وقلادة للفرعون أمنمحات الرابع **سليم حسن، مصر ج2 ، 1940 ، ص ص 246-247)**.

وفي مقابل حركة هجرة الكنعانيين لبلاد مصر السالفة الذكر هناك ما يشير لوجود جاليات مصرية مقيمة في بلاد كنعان منذ عهد الدولة المصرية الوسطى وهذا ما يدل على التطور الحاصل في العلاقة القائمة بين مصر ومدن الساحل الفينيقي، حيث عثر في مدينة جازر الكنعانية على قبور بنيت لمواطنين مصريين تعود لعهد هذه الدولة(عبد الغني غالي فارس السعدون، 2005، ص49).

و الحقيقة ان مصر كانت مرحابة بكل زائريها خاصة المهاجرين التي كانوا يأتون من المدن الفينيقية، فقد وجد على احد جدران مقبرة أحد أمراء بني حسن (خنومحتب) نحتت صور و مناظر تبين جماعة من بلاد كنعان أفال و نساء و رجال قد أتو إلى منطقة الدلتا بمصر في السنة السادسة من حكم الفرعون سنوسرت الثاني(1928-1879ق.م) ، و هم يمسكون بأيديهم بكميات لا بأس بها من مادة الكحل اعوها للأمير (ختوم حتب) كهدية لكي يجيز لهم البقاء و الإقامة في بلاده، و حسب التعداد التي وجد لهؤلاء الأشخاص هو سبعة وثلاثين شخصاً علر رأسهم زعيم يدعى (أبشا) الذي نعتته المنحوتتة بلقب (حقاو-خاسوت) أي حاكم البلاد الأجنبية(عبد الحميد زايد ، 1966 ، ص ص381-382)، وربما كان هؤلاء الأشخاص تجاراً قدموا بعوائلهم للاستقرار بمصر(أحمد فخري ، 1957، ص229).

ويتضح من قصة سنوهي أن فكرة المصريين عن خشونة البدو الآسيويين وشغبهم لم تمنع سنوهي من الاعتراف بكرمهم ونجدتهم له حين لجأ إليهم حرصا على حياته من "سنوسرت الأول"، فبعودته إلى مصر وصف المكان الذي عاش فيه هناك بعد أن تزوج بابنة أحد الحكام لجنوبي فينيقيا ومنح لقب " مدير ضياع الملك في بلاد الآسيويين" حيث قال: <<**... كان لي في الإقليم الطيب الذي نزلته الآراضي الكثيرة حيث التين، والعنب، والعسل، والزيتون، وسائرالأثمار، والحنطة والشعير، والمواشي التي لا تحصى، أما المرفكان أكثرشيوعا من الماء** >> **(مسلم رشد الرواحنة، هايل مضفي البري، 2020، ص511)**.

ومن سياق القصة يتضح أن ملك مصر لم تكن له سلطة على مناطق البادية التي كانت ملجأ للفارين من الحكم المصري(**سليم أحمد أمين، 1989، ص113)** ، وأن الكثير من سكان البادية وشيوخها ، كانوا

يكنون كل مشاعر الإعجاب والوقار لفراعنة مصر(**محمد أبو المحاسن عصفور، 1981 ، ص130)**، و قد حرصوا على علاقة جيدة معهم ن و ذلك باعطائهم الهدايا الثمينة و ارسالها لهم و هذا ضمانا سلامة قوافلهم التجارية التي تمر عبر مناطقهم و ديارهم **(بوترو جين، وأخرين، 1985، ص369)** ، كما يستنتج من هذه القصة وجود العديد من المصريين في بلاط بعض أمراء بلاد فينيقيا ، كما أن مبعوثي و رسل ملوك مصر إلى منطقة فينيقيا كانت بصورة دائمة و مستمرة ، مما يفسر ازهار و استمرار التجارة بين البلدين و أن طرقها و مسالكها و دروبها كانت آمنة **(أحمد فخري، 1958، ص ص 96-97)**.

وعلى الرغم من إجراءات أمنمحات الأول للحد من اعتداءات البدو، إلّا أن هذه القبائل باغتت الدلتا بالإغارة عليها فتصدى لها سنوسرت الثالث بجيشه تحت قيادة " خوسياك" الذي نجح في هزيمة البدو داخل حدود فلسطين، واستولى على موضعاً يدعى (سكميم) ثم عاد إلى بلاده وبصحبته الأسرى والغنائم **(برستد جيمس هنري، 1929، ص120)** ، بالإضافة إلى إرسال حملتين إلى جنوب فلسطين قرب الحدود المصرية بغرض تأمين الطرق التجارية(**أحمد فخري ، 1958، ص ص100- 101)**.

وقد شهدت مصر أواخر عهد الأسرة الثانية عشرة تراجعا لقوتها وسيطرة إدارتها على بلاد فينيقيا ، وليس هناك ما يدل على وقوع مشاكل على الحدود أو أي شيء أخر يسيء إلى العلاقة بين البلدين طوال المدة المتبقية من عهد هذه الأسرة ثم انقطعت هذه الصلة بظهور الهكسوس (مسلم رشد الرواحنة، هايل مضفي البري، 2020، ص512).

وبتنامي نفوذ حكام مقاطعات مصر واستعادة سلطتهم السابقة، نتيجة الصراع على العرش بين أفراد الطبقة الحاكمة اضطربت أوضاع مصر السياسية ، وحدث تدفق المهاجرين من بلاد فينيقيا إلى مصر(عبد الحميد زايد ، 1966 ،ص444)، بدليل أن النقوش المصرية صورت عدداً كبيراً منهم وهم يعملون في حقل الزراعة لدى موظفي مصر العليا أثناء عهد"سيبك حوتب الثالث" أحد فراعنة الأسرة الثالثة عشرة(بوترو جين،وأخرون، المرجع السابق ،ص390) ، كما وجدت آثار مصرية في أنحاء لبنان(محمد أبو المحاسن عصفور، 1962، ص104)، وعثر في جبيل على نحت بارز للفرعون "نيفرحوتب الأول"، وفي بلدة تل حزين قرب بعلبك عثر على تمثال للفرعون (سيبك حوتب الرابع) (عبد الغني غالي فارس السعدون، 2005، ص51).

ومهما يكن فإن صلات مصر ببلاد فينيقيا على مرّ الفترات السابقة كان لها الفضل الكبير في ازدهار العلاقات و زيادة الاحتكاك الحضاري بين البلدين، حيث ظهرت عدة صناعات في ذلك الوقت منها صناعة البرونز في مصر للمرة الأولى، و كان سكان مصر يأتون بالقصدير الذي يحتاجونه من موانئ المدن الفينيقية، و ظهرت العديد في هذا النشاط عدد من أسماء النساء المصريات أسم (حتحور) معبودة منطقة جبيل ، كما وجد عدة تماثيل صغيرة الحجم لمعبودات و آلهة مصرية في منطقة شمال فينيقيا، و كذلك الأمر فيما يتعلق بالحلي المذهبة و الأسلحة و غيرها من السلع و الصناعات التي حملت طراز الصناعات المصرية و الصناعة في بلاد فينيقيا (صالح عبدا لعزيز ، 1967 ، ص179).

خاتمة:

نستخلص مما سبق ذكره أن مصر الفرعونية قد ربطت علاقتها مع بلاد فينيقيا قبل عصر الأسرات بمصر على أساس تبادل المنافع الاقتصادية وشهدت تلك العلاقة تطورا بين البلدين خلال الألف الثالثة قبل الميلاد نتيجة ازدياد الطلب على المنتجات من كلا الطرفين لأسباب متعلقة بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدينية .

وقد شملت صلات التقارب بين القطرين أثناء دولة مصر القديمة مختلف مناحي الحياة ،فصارت العلاقات بينهما حقيقة تاريخية تثبتها الشواهد المادية كالآثار والكتابات المحفوظة ، وكان الحرص على استمرارها بين مصر والمدن الفينيقية حرصا مشتركا ولم يعتمد على جهة واحدة،كما أثبتت الشواهد الأثرية أن ميناء جبيل خلال العهد الفرعوني كان المحور الوسيط بين تجارة مصر وبلاد فينيقيا وجزر الحوض الشرقي للبحر المتوسط.

أما عن تأرجح العلاقات بين مصر والمدن الفينيقية في بعض الأحيان قد كانت مرتبطة بالأوضاع الاقتصادية والسياسية الداخلية والخارجية لكل منطقة، فالظروف السيئة التي عاشها المصريون أثناء حكم الأسرتين السابعة والثامنة لكثرة الحرب بين حكام الأقاليم أدت إلى تراجع التجارة المصرية مع مدن بلاد فينيقيا،كما أن مهاجمة قبائل البدو على طول حدود مصر الشمالية الشرقية على قوافل التجارة المصرية المتجهة لبلادهم أثرت أحيانا على العلاقة بين القطرين.

وتوصيتنا هي تكثيف جهود الباحثين لدراسة المكتشفات الأثرية المصرية وما يماثلها من مخلفات المدن الفينيقية وإخراجها في شكل دراسات تاريخية معمقة لإثراء بحث العلاقات بين القطرين .

قائمة المراجع :

1- أحمد أمين سليم.(1989) . **دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم -مصر وسوريا**.بيروت. دار النهضة العربية

2- آتيين دريوتون ، فانديبه جاك.(1947) ، **مصر**. ترجمة عباس بيومي. القاهرة، .

3- شكري محمد أنور.(1965) . **حضارة مصر القديمة** . القاهرة. الهيئة العامة للتأليف والنشر

4- برستد جيمس هنري.(1929). **تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى الفتح الفارسي سنة 532 ق.م .** ترجمة حسن كمال . ط 1، القاهرة .

5 - بيومي مهران محمد.(1994).**المدن الفينيقية -تاريخ لبنان القديم**-. بيروت. دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

6- ،. **دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم** ،ج **4**،الإسكندرية،1979.

-7 جوردون تشايلد.(1942) . **ماذا حدث في التأريخ** . ترجمة جورج حداد . القاهرة، .

8- جين بوترو، وأخرون.(1985). **الشرق الأدنى الحضارات المبكرة** ترجمة عامر سليمان، الموصل.

9 - زايد عبد الحميد.(**1966**) . **مصر الخالدة . القاهرة.**

10 - ،. **الشرق الخالد. مقدمة في تاريخ وحضارة الشرق الأدنى** .دار النهضة العربية . مصر. د.ت.

11 - زرقانة إبراهيم ، وآخرون.(د ت). **حضارة مصر والشرق الأدنى**. القاهرة. دار مصر للطباعة

12- كونتينو جورج .(1997).**الحضارة الفينيقية.** ترجمة محمد الهادي شعيرة. مراجعة طه حسين.القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب.

13- سليم حسن.(1940) . **مصر . ج 1**.القاهرة.

14 - .(1940) **مصر . ج2، في مدينة مصر وثقافتها في الدولة القديمة والعهد الأهناسي**. القاهرة .

15- السيد غلاب محمد ، والجوهري يسري.(1968).**الجغر افية التاريخية ، عصور ما قبل التاريخ وفجره.** ط 1. القاهرة .

16- ـ.(1969). **الساحل الفينيقي وظهيره في الجغر افيا والتاريخ** . ط 2. بيروت. دار العلم للملايين.

17- عبد العزيز صالح.(2012).**الشرق الأدنى –مصر والعراق**-. القاهرة. مكتبة الأنجلو المصرية.

18- ـ(1967). **الشرق الأدنى القديم**. ج 1. القاهرة، .

19- عبده علي رمضان.(2002)**الشرق الأدنى القديم وحضاراته - منذ فجر التاريخ حتى مجيء حملة الإسكندر الأكبر** -. ج2. ط1. القاهرة. دار نهضة الشرق للطبع والنشر والتوزيع.

20-عصفور محمد أبو المحاسن.(1962) .**موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم .** البصرة.

21- .(1981) .**المدن الفينيقية .** بيروت . دار النهضة العربية.

22- ..(1962). **علاقات مصر بالشرق الأدنى القديم .** الإسكندرية.

23- ـ(1981). **معالم حضارات الشرق الأدنى القديم**. ط 2. بيروت.

24- فخري أحمد.(1958).**دراسات في تاريخ الشرق القديم** . القاهرة .

25- ـ(1957). **مصر الفرعونية منذ أقدم الأزمنة حتى 332 ق.**مصر. مكتبة الأنجلو المصرية.

26- فيليب حتي .(1958). **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين.** ترجمة جورج حداد وعبد المنعم رافق. ج 1. ط2 . بيروت.

27- ـ(1965) **موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم** . ترجمة أنيس فريحة . بيروت .

28- رشاد موسى أحمد.(1998).**دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي -حضارات ما قبل التاريخ وحضارة مصر الفرعونية.** مصر .

29- رو جورج.(1984).**العراق القديم** . ترجمة حسين علوان . بغداد.

30- الناضوري رشيد.(1977).**المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتأريخ الحضاري والسياسي في جنوب غربي أسيا وشمال أفريقيا . ج 1**. بيروت .

المقالات:

31 - رشد الرواحنة مسلم ، مضفي البري هايل.(2020). "**مصر وجنوبي بلاد الشام جانب في العلاقات السياسية والتجارية من العصور الحجرية إلى نهاية العصر البرونزي 1550-6000) ق.م.حوليات آداب عين شمس.** مج48 .

الرسائل الجامعية:

32- غالي فارس السعدون عبد الغني.(2005).**التنافس الحيثي -المصري على بلاد الشام إبان العهد الإمبراطوري المصري،1080-1570)ق.م**. رسالة دكتوراه في التاريخ القديم.كلية الآداب .جامعة بغداد.

المراجع باللغة الأجنبية:

33- L. Casson.(1967). **les marins de L'antiquité (explorateurs et combattants sur la Méditerranée d'autrefois)** ,Traduction de Lilly GalhiKahil,Paris,.